ردّ ابن سلام الجمحيّ على محمد بن إسحاق صاحب السيرة
مقاربة حِجاجية

د. محمد بن سعيد اللويمي[1]

(قدم للنشر في ٣٠/ ٧/ ١٤٤٢هـ، وقبل للنشر في ٨/ ٩/ ١٤٤٢هـ)

المستخلص: يدرس البحث ردّ ابن سلامٍ الجمحيّ على محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، وذلك وفق المنهج الحجاجي، وتناول البحث بالدراسة الخطاب الحجاجي لابن سلام من حيث مرجعياته ، وأغراضه ومقصدياته ، وضوابطه ، منتقلاً بعد ذلك إلى التقنيات الحجاجية اللسانية في خطاب ابن سلام ، وذلك فيما يتصل بالروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسلم الحجاجي، لتأتي بعد ذلك دراسة التقنيات الحجاجية البلاغية، كذكر الحقائق والوقائع، والصفات والتكرار وتقسيم الكل إلى أجزاء ، والاستعارة والمجاز المرسل، وقام البحث على الجمع بين المدرستين اللسانية والبلاغية في الحجاج؛ لتجلية الملامح الحجاجية في النص المدروس بشكلٍ أكبر.

وظهر من خلال هذا البحث ثراء خطاب ابن سلام بمرجعياته العلمية والثقافية؛ مما يمكنه من أن يكون نموذجًا تتمثل من خلاله نظرية التكامل المعرفي عند الناقد العربي القديم ، مع تمكّن ابن سلام من أدوات الحجاج؛ حيث حشد مجموعةً من الردود العقلية والنقلية ، مع تنوّع الأغراض والمقصديات في خطابه ، والتزامه بضوابط التداول الحجاجي، وإجادته توظيف التقنيات الحجاجية اللسانية ، المتمثلة في الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية على اختلافها والسلم الحجاجي، واستثماره الآليات البلاغية المختلفة التي دعم بها حجاجه ، كذكر الصفات (النعوت) ، والتكرار ، وتقسيم الكل إلى أجزاء ، والاستعارة والمجاز المرسل.

الكلمات المفتاحية: حجاج ، الحجاج ، ابن سلام ، ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء.

(١) أستاذ النقد الأدبي الحديث المشارك بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البريد الإلكتروني: allowaimi@hotmail.com.

Response of Ibn Salam al-Jumahi to Muhammad ibn Ishaq, the author of Argumentation Approach biography

Dr. Mohammed Ibn Saeed Al-Lowaimi

(Received 14/03/2021; accepted 20/04/2021)

Abstract: This research reviewed the Response of Ibn Salam al-Jumahi to Muhammad ibn Ishaq according to the argumentative method, the study of the argumentative discourse of Ibn Salam in terms of its references, purposes and aims, and controls, then dealt with linguistic argumentative techniques in Ibn Salam's speech, in relation to the argumentative connections, argumentative factors, and argumentative peace, then came to study of rhetorical techniques, such as mentioning facts , adjectives, repetition, dividing the whole into parts, metaphor, and metonymy. The research was based on a combination of rhetorical and linguistic schools in terms of argumentation, so as to emphasis argumentation features of studied context.

In addition, this research outlined the prosperity of Ibn Salam's speech with its scientific and cultural references; which enabled it to be a model through which the theory of cognitive integration is represented by the ancient Arab critic. In addition, Ibn Salam master argumentation tools, as he mobilized a set of mental and transmission responses, with variety of purposes and intentions, adherence to controls of argumentative circulation, mastery of employing linguistic argumentative techniques, represented in argumentative connections, various argumentative factors and argumentative peace, and his investment in the various rhetorical mechanisms with which supported his arguments, such as adjectives, repetition, dividing the whole into parts, metaphor and metonymy.

Keywords: Argumentation, Al-Hajjaj, Ibn Salam, Ibn Salam Al- Jumahi,Poet laureates classes.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد، فإن الصفحات الأولى من كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي تستوقف كل من يطالع هذا الكتاب، وذلك أنها ترسم صورةً لذهنية ابن سلامٍ ومنهجيته العلمية، ولاسيما حينما ناقش مسألة الشعر الذي أورده ابن إسحاق في سيرته، وهو الموضع الذي خصصته بدراستي هذه، إذ رأيت أهميته في التأصيل لمنهجٍ مبكرٍ دقيقٍ في الحكم على صحة الشعر وروايته، وبرغم عدم إطالة ابن سلام في هذا الموضع فإن السطور التي كتبها سجّلت الكثير من الأفكار والحجج والردود.

موضوع البحث:

يتناول البحث بالدراسة الحجاجية رد ابن سلامٍ على ابن إسحاق صاحب السيرة، وذلك في مسألة الشعر الذي نسبه إلى أقوامٍ بائدة، ويرصد البحث التقنيات الحجاجية التي سلكها ابن سلام في توجيه حجاجه.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدد من الأسئلة، هي:

- ما مرجعيات خطاب ابن سلام وأغراضه ومقصدياته وضوابطه؟
- ما التقنيات الحجاجية اللسانية التي سلكها ابن سلامٍ في خطابه؟
- ما التقنيات الحجاجية البلاغية التي سلكها ابن سلامٍ في خطابه؟

حدود البحث:

يدرس هذا البحث الموضع الذي ردّ فيه ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء) على ابن إسحاق صاحب السيرة فيما يتصل بالشعر المنسوب إلى الأقوام البائدة، ويتناول البحث بالدراسة التقنيات الحجاجية اللسانية والبلاغية في هذا الموضع.

أهداف البحث:

- الوقوف على عدد من المقومات الحجاجية لخطاب ابن سلام، من خلال تناول المرجعيات في النص المدروس، مع تحديد أغراضه ومقصدياته في خطابه، وذكر ضوابط التداول الحجاجي التي التزم بها.
- الكشف عن التقنيات اللسانية التي أقام عليها ابن سلام حجاجه، استنادًا إلى مدرسة ديكرو وأنسكومبر في الحجاج اللساني، من خلال أبرز ما أشارت إليه هذه المدرسة فيما يتصل بالروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية كالنفي والاستفهام والشرط والقصر، والسلّم الحجاجي وما يدعمه من آليات لغوية كالصرف ودرجات التوكيد، وآليات غير لغوية كالاستدلال وحجة السلطة.

– الكشف عن التقنيات البلاغية ذات الأثر الحجاجي في خطاب ابن سلام، وذلك استنادًا إلى المدرسة البلاغية في الحجاج، وهي مدرسة بريلمان وتيتيكا، من خلال أبرز ما أشارت إليه هذه المدرسة، كالنظر في الحقائق والوقائع، والصفات والتكرار، وتقسيم الكل إلى أجزاء، وأساليب التصوير.

منهج البحث:

منهج الدراسة هو المنهج الحجاجي، إذ رأيت أنه الأنسب في إبراز قيمة هذا النص وما تضمّنه من عناصر حجاجية لغوية وبلاغية متعددة، حقق من خلالها ابن سلامٍ غاياته ومقاصده.

إجراءاته:

جمعت دراستي بين مدرستي الحجاج البلاغية واللسانية؛ وذلك لخدمة النص المدروس من خلال تكاملهما وتآزر آلياتهما، منطلقًا مما تضمنه خطاب ابن سلام من تقنيات حجاجية، ومن ثم تناولها بالدراسة بحسب المدرستين السابقتين، من خلال رصد هذه التقنيات، ثم بيان أثرها في توجيه الحجاج في النص.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسةٍ سابقةٍ تتقاطع مع موضوعي في تناول النص المدروس أو تتناول الحجاج عند ابن سلامٍ بوجهٍ عام.

تبويب البحث:

جاءت خطتي نابعةً مما اقتضاه النص المدروس وتوافر عليه من عناصر حجاجية، فتضمنت الآتي:

المبحث الأول: مرجعيات خطاب ابن سلام وأغراضه وضوابطه:

– مرجعياته.

– أغراضه ومقصدياته.

– ضوابطه.

المبحث الثاني: التقنيات الحجاجية اللسانية للخطاب:

– الروابط الحجاجية.

– العوامل الحجاجية.

– السلم الحجاجي.

المبحث الثالث: التقنيات الحجاجية البلاغية للخطاب:

– الحقائق والوقائع.

– الصفة (النعت).

- التكرار.
- تقسيم الكل إلى أجزاء.
- الاستعارة والمجاز المرسل.

أرجو من الله تعالى أن يكون هذا البحث إضافةً لمن كتبه ولمن قرأه، وإثارةً للتساؤلات حول الخطاب النقدي والحجاجي لدى ابن سلام ولدى نقادنا الأوائل بشكلٍ عام، سائلاً الله التوفيق والسداد، والحمد لله أولاً وآخرًا.

النص

قال ابن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار – مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك – فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أُتينا به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارًا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلامٌ مؤلفٌ معقودٌ بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم:٥١]، أي لا بقية لهم، وقال أيضا: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨]، وقال في عاد: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٣٨]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم:٩].

٨ – وقال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية، ونسى لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما .

٩ – أخبرني مسمع بن عبد الملك، أنه سمع محمد بن علي يقول – قال أبو عبد الله بن سلام: لا أدري/ أرفعه أم لا، وأظنه قد رفعه –: أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما.

١٠ – وأخبرني يونس، عن أبي عمرو بن العلاء قال: العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمير وبقايا جرهم. وكذلك يروى أن إسماعيل بن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم .

١١ – ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن، وما تكلمت به العرب على عهد النبي صلى الله عليه ، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا.

١٢ – لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان، اقتصروا على معد. ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد بن ربيعة الكلابي، في بيت واحد قاله، قال:

فإن لم تجد من دون عدنان والدًا ودون معدٍّ، فلتزعك العواذلُ

وقد روي لعباس بن مرداس السلمي بيت في عدنان، قال:

وعكٌّ بن عدنان الذين تلعّبوا بمذحج، حتى طُرّدوا كل مطردِ

والبيت مريب عند أبي عبد الله – فما فوق عدنان، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربي قط. وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو قبله قليلا، وبين موسى وعاد وثمود، الدهر الطويل والأمد البعيد.

فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يروِ قط عربيٌّ منها بيتًا واحدا، ولا راويةٌ للشعر، مع ضعف أسره وقلة طلاوته.

١٣ – وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما عليَ عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصُّحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليلٌ على علم»[(١)].

❁❁❁❁❁

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٧-١١ .

المبحث الأول

مرجعيات خطاب ابن سلام وأغراضه وضوابطه

أولاً: مرجعياته:

في الحجاج ما يسمى "حجة السلطة"، مثل ذكر الإجماع أو الرأي العام أو العلماء أو نحو هذا ، وقد تكون هذه السلطات غير شخصية، كعلم من العلوم، أو الدين، أو القرآن الكريم ، وقد يعمد المحاجِج بالسلطة إلى ذكر أشخاص بأسمائهم لهم سلطة معترف بها من قبل المتلقين، والعادة في الحجاج ألا تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه، وإنما تكون ضمن حجج أخرى(١)، وقد تحققت بعض أنواع حجة السلطة فيما يأتي من مرجعيات ابن سلام ، كسلطة القرآن الكريم والحديث الشريف، وأقوال العلماء والتاريخ والشعر، كما يجد الناظر في خطابه ما يُعرف "بنظرية التكامل المعرفي"، حيث جاء رده متنوعًا في مرجعياته العلمية والثقافية والتخصصية ، وهي:

١- القرآن الكريم: كان الحجاج بالشواهد القرآنية حاضرًا في رد ابن سلام ، حيث أورد عددًا من الآيات الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥]، حيث بنى على هذه الآية انقطاع نسل أولئك الأقوام ، كما استشهد بقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم:٥١]، وهذه الآية فيها نص على عاد وثمود من أولئك الأقوام، واستشهد ابن سلام بآيةٍ كريمةٍ في عادٍ خاصة وهي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨]، ومما استشهد كذلك قوله تعالى عن أولئك الأقوام: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٣٨]، وكانت آخر الآيات التي استشهد بها ابن سلام قوله تعالى في أولئك الأقوام ولاسيما قوم نوح وعاد وثمود: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم:٩].

والنص القرآني نزل لتأكيد حقيقة التوحيد والرد على المعارضين والمشركين والمكذبين ، ومن هنا فهو لا ينفصل عن الغاية الحجاجية ، بل هو «خطابٌ حجاجيٌّ بالدرجة الأولى، وذلك لتوظيفه الكثير من الأساليب الحجاجية التي تهدف إلى استمالة عقل المتلقي»(٢)، ولذا عمد ابن سلام إلى استحضاره والاستشهاد به.

٢ - الحديث الشريف: ذكر ابن سلام قول محمد بن علي بن الحسين بن علي: (أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام) مرجّحًا أنه قد رفعه للنبي ﷺ(٣)، وهو بحسب

(١) انظر في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، أ.د.عبدالله صولة، ص٥٢، ٥٢.

(٢) الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجًا"، إيمان درنوني، ص٤٦، وانظر كذلك الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام -مقاربة تداولية-، بوصلاح فايزة، ص٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

ما تفيد مصادر الحديث الشريف مرفوعٌ بالفعل للنبي ﷺ[١].

٣ – أقوال العلماء: يذكر ابن سلام أقوال عددٍ من العلماء ، منهم يونس بن حبيب ، الذي ذكر أول من تكلم بالعربية وأنه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[٢]، وممن ذكرهم كذلك محمد بن علي بن الحسين بن علي في أن أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[٣]، وذكر كذلك أبا عمرو بن العلاء الذي قال: العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم ، وذكر أن العربية التي عناها محمد بن علي اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا[٤]، مستشهدًا بقول أبي عمرو بن العلاء في ذلك: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[٥].

٤ – الشعر: استشهد ابن سلام بالشعر في معرض حجاجه، حيث جاء ببيتين للتدليل على ندرة ذكر العرب لعدنان في الشعر الجاهلي، بينما اقتصروا على ذكر معد ، فاستشهد ببيت للبيد بن ربيعة هو قوله:

فإن لم تجد من دون عدنان والدًا ودون معدٍّ، فلتزَعك العواذلُ

كما ذكر بيتًا لعباس بن مرداس السلمى في عدنان ، وهو قوله:

وعكٌّ بن عدنان الذين تلعّبوا بمذحج، حتى طُرّدوا كل مطردِ

وبعد ذكر البيتين يرى ابن سلام أن ما فوق عدنان أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب ولم يذكرها عربي قط[٦].

٥ – التاريخ: ذكر ابن سلام بعض حقائق التاريخ، كقوله: «وكذلك يروى أن إسماعيل بن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم»[٧]، وفيما يتصل بتاريخ اللغة اتجه بنقده لنوع اللغة التي جاء بها هذا الشعر فقال: «ولكن العربية التي عنى محمد بن علي اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا»[٨]، مستشهدًا بقول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي

(١) انظر صحيح البخاري، الإمام البخاري، ج٤، ص١٤٢، وانظر المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج٢، ص٦٠٢.

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

(٣) انظر السابق، ج١، ص٩ .

(٤) انظر السابق، ج١، ص١٠ .

(٥) السابق، ج١، ص١١ .

(٦) انظر السابق، ج١، ص١١ .

(٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

(٨) السابق، ج١، ص١٠ .

اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[(١)]، وفيما يتصل بتاريخ الأنساب نجده يقول: «وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران صلى الله عليه أو قبله قليلا وبين موسى وعاد وثمود الدهر الطويل والأمد البعيد ، فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان»[(٢)].

٦ – منهج المحدثين: استوحى ابن سلام فكرة تصنيف جماعة من الناس اشتركوا في فن من الفنون أو علم من العلوم من علماء الحديث، الذين كانوا أول من قام بذلك [٣]، كما كان ابن سلام نفسه راوية للأدب والحديث، الأمر الذي جعله يتأثر بعلماء الحديث [٤]، وقد انتهج ابن سلام في حجاجه منهج المحدثين في أمرين، هما:

(أ) نقد المتن: على منهج المحدثين في نقد متن الحديث؛ اتجه ابن سلام إلى الشعر الذي أورده ابن إسحاق في سيرته فوصفه بضعف اللغة ، حيث يقول: "وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف"[٥] ، كما اتجه بنقده لنوع اللغة التي جاء بها هذا الشعر فقال: "ولكن العربية التي عنى محمد بن علي اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا" [٦] ، وأكد كلامه بقول أبي عمرو بن العلاء في اختلاف لسان حمير وأقاصي اليمن وعربيتهم .

(ب) نقد السند: ينظر المحدثون كذلك في سند الحديث، وهنا نجد ابن سلام ينظر في السند فيثبت الانقطاع التاريخي وعدم وجود من يوصل هذا الشعر –حتى لو ثبت أنهم تكلموا بلسانٍ عربيٍّ وأنهم قالوا شعرًا–، وقد أثبت ابن سلام هذا بنصوص القرآن الكريم، ومن نقد السند كذلك أنه وجّه نقده إلى ابن إسحاق طاعنًا في روايته، حيث يرى أنه «ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه»[(٧)]، ولم يمنعه ذلك من العدل معه حينما قال: «وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك»[(٨)]، إلا أن ابن سلامٍ يرى أن ابن إسحاقٍ قد أخطأ حينما اقتحم ميدان رواية الشعر، وأنه لا عذر له في هذا الخطأ، مستشهدًا بقول ابن إسحاق عن نفسه: «لا علم لي بالشعر، أُتينا به فأحمله»[(٩)].

---

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ، ج١، ص١١ .

(٢) السابق، ج١، ص١١ .

(٣) انظر طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د.جهاد المحالي، ص٢٥.

(٤) انظر مفهوم الطبقة عند ابن سلاّم الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية أنموذجا – دراسة فنية موازنة –، سمير سوالمية، ص١٠ .

(٥) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

(٦) السابق، ج١، ص١٠ .

(٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٧ .

(٨) السابق، ج١، ص٨ .

(٩) السابق، ج١، ص٨ .

وقد نظر المحدّثون في السند للحد من الوضع والتدليس والزيادة والنقص في الحديث، وتفاضل المحدثون في الدقة والتحري في النقل، فوقع التمييز بين الثقات والضعاف، و«هذه الأسباب التي دعت إلى نظام الطبقات عند علماء الحديث تلتقي ببعض الأسباب التي حدت بابن سلام وغيره من نقاد الشعر إلى تعقب الشعراء ودراسة حياتهم ومعرفة ما قيل فيهم ثم تصنيفهم في طبقات، وسنلاحظ أن اللغويين اقتفوا آثار المحدثين في اقتباس العبارات والاصطلاحات الدالة على درجة الأخذ والتحمل في السند»[(١)].

ثانيًا: أغراضه ومقصدياته:

١ – الغرض الحجاجي: وهو الغرض الذي يتجلى بشكلٍ أكبر في هذا النصّ موضوع الدراسة ، وهذا الغرض هو سبيل ابن سلام إلى إقناع المتلقي بصواب رأيه ، الذي حشد له من الأدلة النقلية والعقلية ما يدعمه.

٢ – الغرض التعليمي: وهو غرض لا يخرج عن أغراض التأليف النقدي في ذلك الزمن المتقدم ، وقد جاء رد ابن سلام في سياقٍ قال فيه: «وفي الشعر مفتعل مصنوع كثير لا خير فيه»[(٢)]، ويقول: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات...، من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون المعاينة ممن يبصره...»[(٣)]، إلى أن يقول: «وإن كثرة المدارسة لتعدي على العلم به، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به»[(٤)]، وهذا التكرار لمفردة العلم يشي باهتمامه بتأصيل الناحية العلمية في النقد والضبط العلمي لرواية الشعر، كما تبنّى رد ابن سلام منهجية علمية، تتخذ من الأدلة النقلية والعقلية ومن نقد السند والمتن أدوات للحكم على المرويات الشعرية وغيرها ، ولا سيما أن الشعر مادة النقد، ومن ثم وجب إخراج الموضوع منه.

٣ – الغرض الأخلاقي: ويقصد من خلاله إلى ترسيخ قيم متعددة تتصل بالرواية التاريخية والنقدية ، مثل قيم الصدق والتثبت في الرواية والتبيّن قبل نقل الأخبار والأشعار ، وعدم إفساد صحة اللغة بأشعار منتحلة لم تثبت، وكل هذه القيم من أخلاق العلم والعلماء والمتعلمين؛ ولذا يزري ابن سلام على ابن إسحاق ما فعل .

ثالثًا: ضوابطه:

ثمة ضوابط مهمة للتداول الحجاجي[(٥)]، هي:

(١) طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د.جهاد المحالي، ص٢٩.

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٤.

(٣) السابق، ج١، ص٥.

(٤) السابق، ج١، ص٦، ٧.

(٥) انظر هذه الضوابط في استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ص ٤٦٥–٤٧٠.

١. **أن يكون الحجاج ضمن الثوابت:** وكان هذا سلوك ابن سلام ، حيث كان حجاجه ضمن ثوابت القرآن الكريم والحديث الشريف ، والحقائق المتعلقة بالتاريخ والأنساب واللسان العربي ، وكانت هذه الثوابت مرتكزاتٍ مهمة في الرد على ابن إسحاق .

٢. **أن تكون دلالة الألفاظ محددة:** ويتجلى ذلك في لغة ابن سلام؛ فقد كانت واضحة الدلالة، إلا أن العاطفة شابت بعض ألفاظه فخرجت إلى دلالات غير محددة، كقوله: «هذا الكلام الواهن الخبيث»[(١)]، فينما نعرف معنى كلمة "الواهن" أي الضعيف، لا نعرف ما يمكن أن تتضمنه دلالة كلمة "خبيث"، فهي ذات ظلال غير محددة، وفي رأيي أن الكلمة تحمل شحنةً انفعاليةً غير محدودة الدلالة، وربما فهم منها المتلقي ما يشبه اتهام ابن إسحاق بتعمد نحل الشعر على تلك الأقوام.

٣. **أن يكون المرجع الذي يحيل إليه الخطاب محددا:** أحال خطاب ابن سلام إلى مرجعيات متعددة وكلها محددة، كان بعضها آيات قرآنية، وبعضها من الحديث الشريف، وبعضها أقوال لعلماء اللغة، وبعضها من الشعر العربي الواضح الدلالة، كما أحال إلى حقائق التاريخ والأنساب.

٤. **ألا يقع المرسل في التناقض:** كان ابن سلامٍ بعيدًا عن التناقض وهو يرد على ابن إسحاق؛ ومن أسباب ذلك تصوره الواضح وتحديده الدقيق للمشكلة التي وقع فيها ابن إسحاق، فقد حدد موطن الخلل بدقة، ومن ثم بدأ يوجه كل أدلته الحجاجية وأدواته اللغوية نحو هذا الخلل؛ لنقضه والرد عليه وإبطاله.

٥. **موافقة الحجاج لما يقبله العقل:** يسلّم العقل بجميع الحجج العقلية التي أوردها ابن سلام، مثل:

– أن العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم ، بينما كانت تلك الأقوام قبل زمن إسماعيل.

– انقطاع الزمن منذ آلاف السنين وعدم وجود من حمل شعر هؤلاء الأقوام إلى زمن ابن إسحاق.

– اختلاف اللغة ، فحتى لو كانت العربية لسانهم فإنها ستكون عربيةً أخرى مختلفة.أن معدًّا بإزاء موسى ابن عمران عليه السلام أو قبله بقليل، وبين موسى وتلك الأقوام زمن طويل .

وابن سلام ينتهج المراوحة بين الأدلة العقلية والأدلة النقلية، التي أورد عددًا منها في معرض حجاجه.

٦. **توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب:** وهذا يسوّغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل ويمكّنه من مناقشتها، وربما كان القارئ متشوفًا لمعرفة هذه الأشعار التي انهال عليها ابن سلام طعنًا وتجريحا؛ فهي مدار هذه الحجج والردود، ومعرفة القارئ لها ربما يعطي أرضًا مشتركة للجميع، لكن ربما رأى ابن سلامٍ في ذكرها إيهامًا للمتلقي بأنها قابلة للنقاش والنظر ومن ثم إمكان قبولها، وربما رأى ذكرها نوعًا من التشويش للقارئ والتفصيل الذي لا ضرورة له، الذي لا يغيّر شيئًا في الحكم عليها؛ فالقضية بالنسبة إليه محسومة جملةً وتفصيلاً.

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص١١ .

٧. **خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة:** وقد كانت المغالطة حيلةً حجاجية من لدن اليونان، وكانت لصيقةً أكثر بالسوفسطائيين ، الذين قام جدلهم على المغالطة وقلب الحقائق، وبالنظر لحجاج ابن سلام نجد أنه أبعد ما يكون عن الإيهام والمغالطة، فجاء رده واضحًا خاليًا من هذه الحيل.

٨. **امتلاك المرسل ثقافة واسعة خصوصًا ما يتعلق بالمجال الذي يدور حوله الحجاج:** ويجد القارئ في حجاج ابن سلام الكثير من الحقائق والمعلومات التي تدل على سعة اطلاعه وإلمامه باللغة والشعر والتاريخ والأنساب وغيرها من المعارف التي تكاملت لديه ليخرج لنا هذا الرد ، فهو ملم بالأدلة من نصوص القرآن والحديث وأقوال العلماء ، وملم باللغة وتاريخها وشعرها، وملم بالتاريخ والأنساب.

المبحث الثاني

التقنيات الحجاجية اللسانية للخطاب

جاءت نظرية الحجاج في اللغة مخالفةً عددًا من النظريات الحجاجية التي سبقتها، ولاسيما النظريتين البلاغيتين، تلك التي تنتمي إلى البلاغة القديمة (بلاغة أرسطو) ، وتلك التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة (بيرلمان وتيتيكا وغيرهما)، وقد وضع أسس هذه النظرية اللغوي الفرنسي ديكرو سنة ١٩٧٣م، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات لغة المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية، وتنطلق هذه النظرية من فكرةٍ مؤداها أننا نتكلم عمومًا بقصد التأثير في الآخرين، كما ترى هذه النظرية أن اللغة تحمل في ذاتها وجوهرها وظيفة حجاجية، من خلال مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[١]، وتقوم هذه النظرية التي خرج بها ديكرو وشاركه فيها أنسكومبر على مرتكزاتٍ أهمها: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسلم الحجاجي.

أولاً: الروابط الحجاجية:

تطرح قضية الترابط الحجاجي إشكالاً حول البنية المثالية للخطاب الحجاجي ، أي القواعد والمبادئ التي تجعل سلسلة من الأقوال متماسكة وشروط الربط بين قول وآخر، ويزداد هذا الإشكال تعقيدًا حينما يُغفَل الترابط بين قضايا النص وكذلك العوامل غير اللغوية التي قد تؤثر في انسجامه، إذ السائد الاقتصار على مقاربة النص لغويًّا على اعتبار أن أبنية اللغة ذاتها هي التي تضبط خصائص الأقوال وتسلسلها وتنسيقها ، حيث المبدأ المنظم هنا لإطار المحادثة –والخطاب عمومًا– هو اعتباره عملاً لغويا[٢].

وهناك نوعان من الترابط والتماسك داخل النص ، أحدهما ترابط يعتمد على الروابط السببية المعتادة بين الوقائع التي تدل عليها الأقوال، وعادة تتمثل في الأدوات الرابطة مثل: لأن، وعليه، ونتيجة لذلك، ولهذا ، ونحو هذه الروابط، أما النوع الثاني من الترابط والتماسك فهو أصعب تحديدًا، إذ هو وظيفي؛ لأنه يحدث عندما يُنسب لأحد الأقوال في النص وظيفة معينة بالنسبة لقول آخر سابق عليه، بحيث يقوم هذا القول بوظيفة التجسيد للقول السابق أو التعميم ، أو تجمع علاقة التضاد مثلاً بين القولين[٣].

وقد استعمل ابن سلام في نصه عددًا من الروابط الحجاجية، كتعبير "فضلاً عن" في قوله: "فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارًا كثيرة»[٤]، وهو يصف هنا تدرّج وضع الشعر لدى ابن إسحاق وأنه مرّ بعدد من

(١) انظر اللغة والحجاج، د.أبوبكر العزاوي، ص١٤.

(٢) انظر أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، ص٣٧١.

(٣) انظر بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل، ص٢٤٣.

(٤) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

المراحل، وذكر هذه المراحل مما يقوي حجاج ابن سلام المتصل بوضع الشعر في سيرة ابن إسحاق، وهذه المراحل هي:

١ – وضْع أشعارٍ لرجال لم يقولوا شعرًا قط.

٢ – ثم وضْع أشعارٍ لنساء.

٣ – ثم وضْع أشعارٍ كثيرةٍ لعادٍ وثمود.

وأجد رابطًا آخر كان له دورٌ حجاجيٌّ مشابهٌ لدور الرابط السابق، وذلك حينما عبّر بالرابط الحجاجي "فكيف بـ" في قوله: «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرًا، فكيف بعاد وثمود؟»[١]، وهنا تدرجٌ كذلك عمد إليه ابن سلام، يرى من خلاله أننا إذا كنا نبطل شعرًا عربيًّا قديمًا، فإننا –من باب أولى– سنبطل نسبة الشعر لعادٍ وثمود .

وكرر ابن سلام هذه الأداة الرابطة في قوله: «وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما عليَ عهد عادٍ وثمود مع تداعيه ووهيه؟»[٢]، والحجاج كذلك هنا يشبه الحجاج السابق المتجه لإبطال شعر عادٍ وثمود.

ثانيًا: العوامل الحجاجية:

يقوم الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر على التوجيه الذي يوصل إلى نتيجة محددة دون غيرها، ويأتي العامل الحجاجي لتقوية هذا التوجيه وتعميقه، وهذه العوامل عناصر لسانية وليست مقامية[٣].

(أ) **النفي**: حينما أسس ديكرو نظرية السلالم الحجاجية جعل للنفي نصيب الأسد، وذلك لقدرته في تحديد وجهة الخطاب الحجاجية، وعدّه أدق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي[٤]، والنفي حجاجيًّا «يتمثّل أساسًا في حدث الاطّراح لقولٍ ما»[٥]، وهو يقترب من الدحض الذي «ينشأ عن حركة حجاجية تتمثل في البرهنة على أن هذا الطرح أو ذاك مغلوط»[٦].

وهو ذو حضور بارز في حجاج ابن سلام ، كقوله: «وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أُتينا به فأحمله»[٧]، وهي توطئة ساقها عن ابن إسحاق، وقد أنصفه حينما مدحه، وتخلص من هذا المدح إلى

---

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ، ج١، ص١١ .

(٢) السابق، ج١، ص١١ .

(٣) انظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د.عزالدين الناجح، ص٣٢.

(٤) انظر السابق، ص٤٩.

(٥) الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باتريك شارودو، ص١٢.

(٦) السابق، ص١٢.

(٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

أن مكانته العلمية الثابتة له لا علاقة لها بالشعر ، فهو يورد قول ابن إسحاق عن نفسه: «لا علم لي بالشعر» ، مؤكدًا أنه إنما يؤتى به فيحمله ، وكأنما يسوق ابن سلام رد ابن إسحاق على نفسه قبل أن يورد ردوده عليه ، وما لبث ابن سلام أن قال نافيًا العذر لابن إسحاق ونافيًا أن يكون أولئك الأقوام قالوا شعرًا قط: «ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط»[١]، ثم يتجه ابن سلام إلى نقد الشعر ذاته فينفي عنه الشعرية بقوله: «وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»[٢]، وفي موضع نفيٍ آخر يقول مفسرًا الآية الكريمة التي استشهد بها: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام:٤٥]: «أي لا بقية لهم»[٣]، وابن سلام هنا لا يكتفي بإيراد الشاهد –وهو حجاج بالاستشهاد بالنص، وإنما يبين دلالته وهي النفي، ويقول نافيًا كذلك: « لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان، اقتصروا على معد»[٤]، فبعد أن نفى مجاوزتهم عدنان، عاد لهذا المعنى فأكده بأسلوب خبري وهو قوله: «اقتصروا على معد»، وهذا ذكر للمعنى بطريقتين: نفي وإثبات ، ثم يكرر النفي لذات المعنى فيقول: «ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد بن ربيعة الكلابي»[٥]، ويكرره كذلك نافيًا أن يكون عربي قد ذكر هذا ، فيقول: «فما فوق عدنان، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربي قط»[٦]، ويستمر في إلحاحه على نفي هذه الفكرة بأربع أدوات نفي تتوالى في قوله: «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا...، ولم يروِ قط عربيٌّ منها بيتا واحدا، ولا راويةٌ للشعر»[٧]، ويستمر في اعتماده الكبير على أسلوب النفي فيقول موردًا قول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»[٨]، ويأتي بالنفي مكررًا في جواب (لو): «فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصُّحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليلٌ على علم»[٩].

(ب) **الاستفهام**: يجعل الاستفهام المتلقيَ في حالة اضطرار إلى الجواب وإن لم يصرّح بهذا الجواب، خصوصًا في حالات الاستفهام الذي يدخل على النفي ، فهو يجعل المتلقي يجيب في الاتجاه الذي يرسمه سؤال المحاجِج[١٠]، وقد وظّف ابن سلام الاستفهام حجاجيًّا، فجاءت أسئلته حاملةً دلالات الإنكار

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .
(٢) السابق، ج١، ص٨ .
(٣) السابق، ج١، ص٨ .
(٤) السابق، ج١، ص١٠ .
(٥) السابق، ج١، ص١٠ .
(٦) السابق، ج١، ص١١ .
(٧) السابق، ج١، ص١١ .
(٨) السابق، ج١، ص١١ .
(٩) السابق، ج١، ص١١ .
(١٠) انظر في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، أ.د.عبدالله صولة، ص٩٨.

والتعجب، يقول في ردّه: «أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف من السنين؟»[١]، ويرى ابن سلام بدهية الفكرة التي يراها من أن شعر أولئك الأقوام لا يمكن أن يصل إلى زمنه مع بعد ذلك العهد ، فهو يكرر هنا الاستفهام مستنكرًا ومتعجبًا حول هذا الشعر وحول من حمله عبر آلاف السنين حتى وصل إلى زمنه.

كما نجد لديه استعمالاً للأداة الاستفهامية (كيف) في موضعين ، هما:

– «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود؟»[٢].

– «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما عليَ عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟»[٣]، واستعماله الأداة (كيف) في الموضعين للاستبعاد واستحالة الحدوث؛ فهو يذكرها بعد كلامٍ يسبقها، ليقول بعده: فكيف بعادٍ وثمود ؟

(ج) الشرط: وقد ورد الشرط في شاهدٍ وحيدٍ هو قول ابن سلام: «فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصُّحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليلٌ على علم»[٤]، و أداة الشرط هنا "لو"، وهي كما يقول النحويون حرف امتناعٍ لامتناع، فامتنع هنا جواب الشرط لامتناع فعله .

(د) القصر: جاء القصر في قوله: «وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران عليه السلام، أو قبله قليلا، وبين موسى وعاد وثمود، الدهر الطويل والأمد البعيد»[٥]، و"إنما" تجعل الجملة أشبه بجملتين إحداهما مثبتة والأخرى منفية، وهما هنا: كان معد بإزاء موسى، ولم يكن معد بعيدًا عن عصر موسى، وهذا مما يجعل الكلام ذا طابع حجاجي، وغياب "إنما" يجعله لمجرد الإبلاغ، وهنا تكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية ولا تتعداها إلى الحجاجية[٦].

ثالثًا: السلم الحجاجي:

من مظاهر قوة الحجاج وجود تسلسلٍ معينٍ للحجج بحسب ما تقتضيه العملية الحجاجية، وهذا ما يعرف بنظام السلم الحجاجي، ويتسم هذا السلم بأن كل قولٍ يرد ضمنه في درجةٍ ما من السلم؛ يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه فيما يتصل بالنتيجة الحجاجية المتوخاة[٧]، وتنطلق نظرية السلم الحجاجي

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

(٢) السابق، ج١، ص١١ .

(٣) انظر طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص١١ .

(٤) السابق، ج١، ص١١ .

(٥) السابق، ج١، ص١١.

(٦) انظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د.عزالدين الناجح، ص٥٧.

(٧) انظر آليات الحجاج في خطب الحجّاج: دراسة تداولية، محمد شكيمة، ص٦١.

الحجاجي عند ديكرو وأنسكومبر من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة ونتيجته[١]، والسلم الحجاجي يجسد الآليات شبه المنطقية من خلال أدواته وآلياته اللغوية، ويختار المرسل هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة، لذلك فالحكم على الحجة هنا بالقوة أو الضعف يكون انطلاقًا من طابع التدرج فيها[٢]، وتقوم البنية الشكلية للحجاج «على تعالق النتائج والمقدمات، وتسلسل القرائن ودقة ترابطها، بحيث تكون الأولى مؤدية إلى الثانية، واللاحقة مبررة للسابقة»[٣].

وكانت النصوص القرآنية أقوى حجج ابن سلام، وذلك لسلطتها التي تعلو سلطة خطابه، وجاء بعدها في القوة نص الحديث الشريف، ثم كلام علماء اللغة وشعر العرب، ثم كلام ابن سلامٍ نفسه، وكل ما حشده ابن سلام من حجج يقود إلى النتيجة التي يرمي إلى تأكيدها، وهي أن هذا الشعر باطل النسبة لتلك الأقوام.

وللسلم الحجاجي ثلاثة قوانين، هي:

١ – **قانون الخفض**: ويعني هذا القانون أنه «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم؛ فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[٤].

٢ – **قانون القلب**: ويعني أنه «إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين؛ فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»[٥]، أي: «أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية»[٦].

٣– **قانون النفي (تبديل السلم)**: ويقتضي «أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين؛ فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[٧].

وهناك آليات لغوية تدعم التراتبية والسلّمية الحجاجية، وأبرز ما جاء منها في نص ابن سلام:

١. **الصرف**: إن السلّمية كامنة في اللغة بجميع مستوياتها، وتمتد لتشمل النظام الصرفي، حيث تتضمن اللغة نظام الزيادة في المعجم وطريقة تكوّن المفردة عن طريق الزيادة إليها[٨]؛ مما يجعل بعض الكلمات أقوى من بعضها الآخر في توجيهها للحجاج، ومما تضمّنه نص ابن سلام مما له علاقة بالجوانب الصرفية ما يلي:

---

(١) انظر نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، جايلي عمر، ص٢٠٠.

(٢) انظر أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، ص٣٧٠.

(٣) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، ص٨،٩.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبدالرحمن، ص٢٧٧.

(٥) السابق، ص ٢٧٨.

(٦) الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، مبحث بعنوان: الحجاج في اللغة، د.أبوبكر العزاوي، ص٦٢.

(٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبدالرحمن، ص ٢٧٨.

(٨) انظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د.عزالدين الناجح، ص١٢٥.

- **اسم الفاعل**: وهو «من نماذج الوصف التي يحاجج المخاطِب بها ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد أن تنبني عليه النتيجة التي يرومها»[١]، ومن استعمال ابن سلام له وصفه بيت عباس بن مرداس بأنه "مُريب"[٢]، أي مثير للشك، كما استعمل اسم الفاعل في وصف كلام ابن إسحاق بأنه "واهن"[٣]، وهو طعنٌ بالضعف ، كما ورد اسم الفاعل في نفيه أن يكون أحدٌ روى بيتًا واحدًا من ذلك الشعر فيقول: «ولا راويةٌ للشعر»[٤].

- **اسم المفعول**: أجد موضعين متواليين لاسم المفعول في رد ابن سلام ، وذلك حينما يقول: «وليس بشعر إنما هو كلام مؤلَّف معقود بقواف»[٥]، والصيغتان تشيران إلى جانب التكلف والصنعة المستكرهة في ذلك الشعر، فهو "مؤلف" و"معقودٌ بقوافٍ"، وهذا طعنٌ في فنية هذا الشعر -على افتراض وروده عنهم، كما أجد في صيغتي المفعول إعراضًا عن ذكر الفاعل، وكأنما كان هذا الشعر مجالاً لعبثٍ من أشخاصٍ غير معلومين للمتلقي.

- **أفعل التفضيل**: وهي من الصيغ الصرفية التي يمكن أن يستثمرها المحاجج في الإثباتات؛ من أجل ترتيب الحجج وتوجيهها في سياق الإقناع[٦].

وفي نص ابن سلام ثلاثة مواضع لها، وهي قوله:

- «كان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك - فقبل الناس عنه الأشعار»[٧]، والتفضيل هنا دليل على أن العلم بالشعر لم يكن مما يجيده ابن إسحاق، ومن هنا يضعف موقفه وهو يورد الأشعار في سيرته.

- «أول من تكلم بالعربية، ونسى لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»[٨]، والتفضيل هنا يحسم أي جدلٍ قد يرد حول وجود عربٍ قدماء قبل عصر إسماعيل قد يكون لهم شعر.

- «فما فوق عدنان أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها»[٩]، والتفضيل المتعلق بعلم الله تعالى يشير لجهل كثير من النسابين والمؤرخين بمرحلة ما قبل عدنان، وبالتالي يشكِّك فيما يأتينا من تلك الحقبة.

---

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، مبحث بعنوان: آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي الشهري، ص٨٩.

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص١١ .

(٣) السابق، ج١، ص١١ .

(٤) السابق، ج١، ص١١ .

(٥) السابق، ج١، ص٨ .

(٦) انظر الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، مبحث بعنوان: آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي الشهري، ص١١٥.

(٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

(٨) السابق، ج١، ص٩ .

(٩) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص١١ .

– صيغ المبالغة: وهي تسهم في بناء السلم الحجاجي، إذ تفضُل غيرها من الأوصاف كاسم الفاعل، كما تعبّر عن درجة الحجة التي يريد المحاجِج أن يعبّر بها[1].

وقد ورد في حجاج ابن سلام بعض صيغ المبالغة، كقوله:

«ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارًا كثيرة»[2]، وصيغة "كثير" هنا توحي بعدم دقة ابن إسحاق وعدم تحريه في إيراده تلك الأشعار، فهي قد بلغت حدًّا من الكثرة.

– «وبين موسى وعاد وثمود، الدهر الطويل والأمد البعيد»[3]، صيغتا المبالغة هنا "طويل" و"بعيد" فيهما إشارة إلى بعد عهد تلك الأقوام البائدة عن العرب ولسانهم العربي، وهي حجة عقلية تاريخية.

– «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرًا، فكيف بعادٍ وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث»[4]، وكلمة "الخبيث" هنا تحمل موقف ابن سلامٍ الحجاجي الرافض لكل تلك الأشعار المنسوبة لأولئك الأقوام.

٢. **درجات التوكيد**: يذكر البلاغيون تدرّج استعمال المتكلم للتوكيد بحسب مستويات الخبر، وهي الابتدائي، ثم الطلبي، ثم الإنكاري[5]، وجاء خطاب ابن سلامٍ في مجمله من الخبر الابتدائي، خاليًا من المؤكدات ، وكأنما يرى أن كلامه مقنعٌ فلا يحتاج لمؤكدات، أشبه بالمسلَّمات التي لا يتردد أحد في قبولها ويتفق عليها الجميع، ومن هنا جاء خطابه مستغنيًا عن التأكيد بأنواعه، وكان خطابه على هذا النمط ، باستثناء تأكيدٍ جاء ضمن آيةٍ كريمةٍ من استشهاداته، هي قوله تعالى: ﴿**وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ**﴾ [النجم:٥١].

أما الآليات السلّمية الحجاجية غير اللغوية فقد ورد منها في نص ابن سلامٍ:

١. **الاستدلال**: وهو من آليات السلالم الحجاجية غير اللغوية[6]، وابن سلام يستدل على عدم ثبوت الشعر الوارد في سيرة ابن إسحاق بما ذُكر في الآيات الكريمة من إهلاك سائر الأقوام البائدة منذ آلاف من السنين، ويذكر قوله تعالى: ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟**﴾ [الأنعام:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ**﴾ [النجم:٥١]، وقوله تعالى في عاد: ﴿**فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ**﴾ [الحاقة:٨]، فإذا كانت هذه الأقوام قد بادت فالشعر المنسوب إليها باطلٌ إذًا، كما يستدل بالأثر الذي يرفعه بعضهم: «أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»[7]، وهذه كلها استلالات تستند إلى الدليل النقلي،

(١) انظر الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، مبحث بعنوان: آليات الحجاج وأدواته، عبدالهادي الشهري، ص١١٩

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

(٣) السابق، ج١، ص١١.

(٤) السابق، ج١، ص١١ .

(٥) انظر الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص٢٨.

(٦) انظر آليات السلالم الحجاجية غير اللغوية في القرآن الكريم، فايزة بوسلاح، ص٨٠.

(٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

وفيها حجة كافية لإبطال نسبة الشعر إلى عاد وثمود، ويورد استدلالاتٍ أخرى بالاستناد إلى الدليل العقلي المنطقي، منها:

– أن معدًا كان بإزاء موسى عليه السلام، أو قبله قليلا، وبين موسى وعاد وثمود، دهر طويل وأمد بعيد.

– أنه لا يُعرف في النسب ما فوق عدنان، وليس لأوائل العرب المعروفين شعر، فكيف بعاد وثمود؟

– أن لسان حمير وأقاصي اليمن ليس كلسان العرب في أيامه، فكيف لو قورن بلسان عاد وثمود إن صحّ أن لسانهم عربي؟

٢. **حجة السلطة (حجة الدليل)**: السلطة قد تكون سلطةً خاصة يستمدها المتكلم من ذاته، وقد تكون سلطة خارجية يستدعيها المتكلم في خطابه، ويكون الرأي حينها مقبولاً لدى المتلقي؛ لأن سلطةً يشتركان في الإذعان لها تدعم هذا الرأي[(١)]، وتكون حينها أدلة أو شواهد من أقوال الغير مثل النقل والتضمين والاقتباس، وتسهم هذه الآلية في رفع المرسل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه[(٢)]، ويدخل ذكر الدليل ضمن خصائص الخطاب الحجاجي الفلسفي، ويكون هذا الذكر على طريقتين:غير مباشرة تكون بالتقاطع مع نصوص سابقة، ومباشرة تكون بالنقل والتضمين والحكاية والشرح[(٣)].

❁❁❁❁❁

(١) انظر الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ص٨١، ٨٢.

(٢) انظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ص ٥٣٧.

(٣) انظر آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، أ.هاجر مدقن، ص١٩٢.

المبحث الثالث

التقنيات الحجاجية البلاغية للخطاب

تدخل الآليات البلاغية ضمن آليات الحجاج لأن البلاغة تعتمد الاستمالةَ والتأثير بالصورة البيانية والأساليب الجمالية، حيث يتأتى إقناع المتلقي باستمالة تفكيره ومشاعره ليتقبل قضيةً ما[١]، وقد كان لبيرلمان وتيتيكا جهدهما الكبير في تأسيس حقل الحجاج، ولا سيما مدرسة الحجاج البلاغية، من خلال كتابهما (مصنف الحجاج: البلاغة الجديدة) الذي خرجا به عام ١٩٥٨م، إذ كان محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية، حيث ارتبطت البلاغة في زمنهما بوظيفة التحسين مبتعدةً عن وظيفتها الحجاجية، فكان أن أظهرا البلاغة في ثوب جديد فيه بعث للحجاج البلاغي واستحضار للأصل الأرسطي، لكن بإخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل[٢].

ومع أن الحجاج في نظر بريلمان له علاقة بالبلاغة القديمة لكونهما يرتكزان على آليات وإجراءات خطابية معينة هدفها التأثير، وينطلقان من مجالين مشتركين هما الخطابة والجدل؛ فإن بريلمان لم يقف عند هذا الحد في الاشتراك والمشابهة، بل جدّد فجاء بتصورٍ يرتكز على تقنيات خطابية، تتمثل في مجموعة من البنى الذهنية الاستدلالية والمكونات الحجاجية، والعناصر الإثباتية المرتبة بطريقة معينة، بحيث تثير ذهن المتلقي وتدفعه إلى الإذعان والتسليم[٣]، وتأتي الإجراءات البلاغية كي تضيف للقيمة البرهانية للخطاب وتمنح منتجه التعبير الأفضل، ويمكن القول إن وراء كل حجاج بلاغة، ووراء كل بلاغة حجاج؛ ما دام هناك استمالة قصدها الإقناع[٤].

وأبرز العناصر المنتمية للمدرسة البلاغية في الحجاج مما تضمّنه نص ابن سلامٍ ما يأتي:

أولاً: الحقائق والوقائع:

الوقائع تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين الناس، وهي لا تكون عرضة للدحض أو الشك، وتشكل نقطة انطلاق للحجاج، أما الحقائق فهي أنظمة أكثر تعقيدًا، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية، ويعتمد كل ما سبق على الحس المشترك لمجموعة من الناس[٥]، وقد حشد ابن سلامٍ مجموعةً من الحقائق والوقائع التي شكلت مقدماتٍ لحجاجه، منها ما

(١) انظر الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجًا"، إيمان درنوني، ص٧٧.

(٢) انظر الحجاج في البلاغة من خلال كتاب "مصنف الحجاج" لبيرلمان وتيتيكا، كمال الزماني، ص١١٥، ١١٦، وانظر كذلك أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، ص٢٩٨.

(٣) انظر تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، شعبان أمقران، ص٢٢٤.

(٤) انظر الخطاب الحِجَاجِي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، هاجر مدقن، ص٤٢.

(٥) انظر أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، من بحثٍ بعنوان الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، أ.د.عبدالله صولة، ص٢٠٨، ٣٠٩.

هو نصوص قرآنية، ومنها ما هو حديث شريف، ولا شك أن الناس يسلّمون بالحجة أمام هذه النصوص الكريمة إيمانًا بمكانتها في قلوبهم وأنها حقائق ومسلمات لا تقبل النقاش والجدل، كما ذكر ابن سلامٍ بعض الحقائق المتصلة بتاريخ اللغة والأنساب وغيرها مما عرضتُ له سابقًا، وكل أولئك مما مهّد لابن سلامٍ بناء حجاجٍ مقنعٍ للمتلقي.

ثانيًا: الصفة (النعت):

استعمال الصفات من مقومات الحجاج بوصفها مفضيةً إلى التصنيف(١)، ووردت الصفات في خطاب ابن سلام، كقوله: «فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط...، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»(٢)، وفيما سبق عدد من النعوت؛ فهو يصف أولاً هؤلاء الرجال بأنهم "الذين لم يقولوا شعرًا قط"، وفي هذا الوصف إبطالٌ لنقل ابن إسحاق، ثم يصف الأشعار التي ذكرها لتلك الأقوام بأنها "كثيرة"، وهذا ردٌّ آخر يبطل ذلك الشعر؛ فإنه إذا كان الشعر المنسوب لهم "كثيرًا" فهذا دليل آخر يرجح أنه موضوع، وسيختلف الحال عما لو كان قليلاً مثلاً، ثم يبطل هذا الشعر من ناحيةٍ ثالثة؛ فيصفه بنعتين يتضمنان أنه مجرد تأليف عُقدت قوافيه، نافيًا عنه أن يكون شعرًا ، وكأنما يشير إلى أنه من صنع بعض العابثين المتكلفين، كما يصف تلك العربية بأنها عربية "أخرى" غير العربية المعروفة في زمنه، وهو اختلاف يقتضي بطلان ذلك الشعر لوروده بالعربية المعروفة في زمنه ، كما يصف المدة بين زمن موسى وزمن عاد وثمود بأنها «الدهر الطويل والأمد البعيد»(٣)، وهذا ردٌّ منطقي كذلك يشبه في منطقيته رده السابق المتعلق باختلاف اللغة، ويقول جامعًا بين صفتين دالّتين: «فهذا الكلام الواهن الخبيث»(٤)، وهو حكمٌ يطلقه على ما رواه ابن إسحاق من شعر الأقوام البائدة، فهو يرى بأنه ضعيف، وأنه مع ضعفه خبيث، ثم يبالغ في وصف ندرة هذا الشعر فيقول بأنه لم يرد فيه حتى البيت الواحد: «ولم يروِ قط عربيٌّ منها بيتًا واحدا»(٥).

ثالثًا: التكرار:

التكرار من طرق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًّا، إذ يبرز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها في المتلقي(٦)، وقد كرر ابن سلام بعض الأفكار من باب التأكيد عليها، وهي:

(١) انظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٣١٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

(٣) السابق، ج١، ص١١ .

(٤) السابق، ج١، ص١١ .

(٥) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص١١ .

(٦) انظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، من بحثٍ بعنوان الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، أ.د.عبدالله صولة، ص٣١٦.

– فكرة إهلاك عادٍ وثمود ، وكان لهذه الفكرة حضورها من خلال الآيات الكريمة التي أوردها.

– مقولة: «أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»(١).

– فكرة أنه لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان بل اقتصروا على معد، كررها حينما قال مؤكدًا إياها بصياغة أخرى: «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان»(٢).

– فكرة أن ابن إسحاق كتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارًا كثيرة ، كررها بمعناها في آخر نصه فقال: «ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود؟»(٣).

– فكرة في قوله: «ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن، وما تكلمت به العرب على عهد النبي ﷺ، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا»(٤)، ذكر بعدها قول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»(٥).

رابعًا: تقسيم الكل إلى أجزاء:

وهذه الحجة من الحجج التي تتضمنها بلاغة بريلمان، وذلك أن يقسّم المتكلم «الكل إلى أجزائه المكونة له، كي يتسنى للمحاجج توظيف تلك الأجزاء وتحميلها الشحنة الإقناعية التي كانت لها مجتمعة»(٦)، ومن الغايات هنا التأكيد على الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بأجزائه(٧)، وهذه نوعٌ من إثبات حضور الكل من خلال إثبات أجزائه(٨)، وقد أورد ابن سلامٍ ردّه مجملاً في قوله: «وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»(٩)، ثم فصّل عبارته "وليس بشعر" من خلال مجموع حججه؛ فذكر أولاً الحجج النقلية من القرآن الكريم، ثم الحجج العقلية التي تتصل باختلاف اللسان وتاريخ اللغة والأنساب وانقطاع أولئك الأقوام.

خامسًا: الاستعارة والمجاز المرسل:

أطلق بيرلمان على الاستعارة تمثيلاً مكثفًا، وترتبط قيمتها الحجاجية عنده بالتكثيف من خلال حذف أحد عناصر التشبيه، مما يحدث اندماجًا سماه الانصهار، علاوةً على ارتباط الاستعارة بالتراث الثقافي، مما

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

(٢) السابق، ج١، ص١١ .

(٣) السابق، ج١، ص١١ .

(٤) السابق، ج١، ص١٠ .

(٥) السابق، ج١، ص١١ .

(٦) الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د.محمد سالم الطلبة، ص ٤٩٤.

(٧) انظر أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د.حمادي صمود، ص٣٣١، وانظر كذلك في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، أ.د.عبدالله صولة، ص٤٨.

(٨) انظر تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، شعبان أمقران، ص٢٢٧.

(٩) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٨ .

يعطيها قوةً حجاجية[١]، والحجة الناجمة عن الاستعارة تظهر فعاليتها الحجاجية من خلال تمثيلهادرجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت بدلاً عنه، وبالإمكان أن تمثّل ترقيًا في درجات السلم الحجاجي[٢]، ويلجأ المتكلم للاستعارة والتصوير إذا رأى ذلك أبلغ من الحقيقة وأقرب للتأثير، وفعاليتها ترتبط بارتكازها على المستعار منه، الذي يرتبط غالبًا بنسق من القيم العليا، فيكون بمنزلة الشاهد الأمثل والدليل الأفضل، وتكون الاستعارة هنا أقوى من الحقيقة في تحريك همة المتلقي إلى الاقتناع بها[٣]، وتكتسب الاستعارة تداوليتها وتأثيرها من خلال انزياحها عن المستوى المألوف للخطاب[٤]، و«للاستعارة بوصفها انزياحًا وجهان: بلاغي وتداولي، والسّياق الذي سبقت الإشارة إليه، هو الذي يمنح الاستعارة تداوليتها من خلال التأثير الذي تحدثه في المتلقي وصدورها عن موقف الملقي وموقعه ووضعه الاجتماعي وانتمائه الأيديولوجي»[٥]، وأجد لدى ابن سلام ثلاثة مواضع يشبّه فيها الشعر بالشيء المحمول، وهذه المواضع هي:

– «وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاءٍ منه محمد بن إسحاق بن يسار»[٦]، وهنا كذلك تشبيه للشعر بالشيء المحسوس الذي يدركه الفساد، والمحسوس أقرب للتصوّر في ذهن المتلقي.

– «وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أُتينا به فأحمله»[٧].

– «أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين»[٨]، وأجد في معنى الأداء هنا ما يجعل الشعر شبيهًا بالأمانة التي يؤديها الرجل إلى غيره، وفي هذا تأكيد على مسؤولية الرواية.

وأجد مواضع أخرى يتكرر فيهما مجازٌ مرسلٌ علاقته الآلية؛ تدور كلها حول كلمة اللسان التي يراد بها اللغة، وكأنما يعيد ابن سلامٍ المتلقي إلى تصوّر اللسان الذي كانت تلك الأقوام تتخاطب به، وأنه مختلفٌ تمامًا عن اللسان العربي الذي تكلم به إسماعيل والعرب بعده، ولا سيما اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك إذ يقول:

---

(١) انظر الحجاج في البلاغة من خلال كتاب "مصنف الحجاج" لبيرلمان وتيتيكا، كمال الزماني، ص١٣٢.

(٢) انظر الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، مبحث بعنوان: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) د.عبدالله صولة، ص٤٤، ٤٥.

(٣) انظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبدالرحمن، ص٣١٢.

(٤) انظر الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجًا"، إيمان درنوني، ص٧٨ .

(٥) انظر الخطاب الحِجَاجِي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، هاجر مدقن، ص٥٤ .

(٦) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٧، ٨ .

(٧) السابق، ج١، ص٨ .

(٨) السابق، ج١، ص٨ .

- «أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»[(١)].

- «ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن»[(٢)].

- «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما عليَ عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟»[(٣)].

وهنا تصويرٌ آخر للشعر بالشيء المحسوس الذي يتداعى ويضعف.

❁❁❁❁❁

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ج١، ص٩ .

(٢) السابق، ج١، ص١٠ .

(٣) السابق، ج١، ص١١ .

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد، فقد كان هذا البحث مقاربةً حجاجيةً لرد ابن سلام على ابن إسحاق صاحب السيرة –رحم الله الجميع–، وهو ردٌّ اتسم بالعديد من الملامح الحجاجية برغم قصره النسبي .

النتائج:

توصلتُ من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج، هي:

– ثراء خطاب ابن سلام بمرجعياته العلمية والثقافية؛ مما يمكنه من أن يكون نموذجًا تتمثل من خلاله نظرية التكامل المعرفي عند الناقد العربي القديم.

– تمكّن ابن سلام من الردود الحجاجية؛ حيث حشد مجموعةً من الردود العقلية والنقلية.

– تنوّع الأغراض والمقصديات في خطابه.

– التزامه في خطابه بضوابط التداول الحجاجي .

– استعماله الروابط ذات الأثر الحجاجي.

– توظيفه العوامل الحجاجية، وكان أبرزها النفي والاستفهام والشرط والقصر.

– توظيفه الآليات اللغوية المتصلة بالسلّمية الحجاجية، وكان أبرزها استثمار النظام الصرفي للغة من خلال توظيف عددٍ من الصيغ الصرفية، إضافةً إلى استثمار الآليات غير اللغوية كالاستدلال وحجة السلطة.

– استثماره التقنيات البلاغية ذات الأثر الحجاجي، كذكر الحقائق والوقائع، وإيراد الصفات واستثمار التكرار، وتقسيم الكل إلى أجزاء، مع استعمال الاستعارة والمجاز المرسل.

التوصيات:

خرجتُ في ختام هذا البحث ببعض المقترحات والتوصيات التي أرجو أن يفيد منها الدارسون وتفتح لهم آفاقًا في البحث ، وهي:

– دراسة الملامح الحجاجية للخطاب النقدي لدى هذا الناقد أو غيره من النقاد، واكتشاف ما يتضمنه كل خطاب من تقنيات وأدوات وآليات .

– دراسة نظرية التكامل المعرفي عند ابن سلام ، ولا سيما في تقاطعه مع منهج المحدثين في فكرة الطبقات المستوحاة من علم الحديث ، وهي نظرية يمكن دراستها لدى نقاد آخرين كذلك.

– دراسة مرجعيات الخطاب النقدي عند بعض النقاد القدماء ، خاصةً مع ما امتازوا به من تنوع في معارفهم وثقافتهم وعلومهم.

– دراسة التوظيف الحجاجي للنص الديني (القرآن الكريم والحديث الشريف) لدى الناقد العربي القديم.

– تقويم الدراسات الحجاجية العربية، إذ يمكن أن تنهض دراسة في نقد النقد على هذا الكم الكبير من الدراسات.

– تقويم الدراسات الحجاجية المتصلة بالقرآن الكريم، حيث تلفت النظر كثرتها؛ مما يجعلها مادةً مناسبةً للدراسة والتقويم.

أسأل الله التوفيق والسداد والإفادة لي ولكل من يطلع على هذا البحث ، والحمد لله أولاً وآخرا.

ثبت المصادر والمراجع

-القرآن الكريم .

-طبقات فحول الشعراء ، الجمحي، محمد بن سلام ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، جدة، د.ط، ، دار المدني ، د.ت، ج١.

-استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري ، عبدالهادي ، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.

-الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام -مقاربة تداولية- ، بوصلاح، فايزة ، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة وهران، ٢٠٠٩-٢٠١٠م .

-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبدالرحمن ، د.طه ، ط١، الدار البيضاء-بيروت ، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م .

-الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، محمد الخطيب، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٢م.

-آليات الحجاج في خطب الحجّاج: دراسة تداولية ، شكيمة، محمد ، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الآداب واللغات ،جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥-٢٠١٦م.

-آليات السلالم الحجاجية غير اللغوية في القرآن الكريم، بوسلاح، فايزة، مجلة الحوار المتوسطي - جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد١١، العدد٢، سبتمبر ٢٠٢٠م، ص (٧٧-٩٣).

-آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مدقن، هاجر، الأثر (مجلة الآداب واللغات) - جامعة قاصدي مرباح، ورقلة -الجزائر، العدد الخامس، مارس ٢٠٠٦م، ص(١٩٠-١٩٩).

-أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف صمود، د.حمادي، د.ط، منوبة - تونس، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، سلسلة آداب، مجلد XXXIX ، د.ت.

-بلاغة الخطاب وعلم النص، فضل، د.صلاح، د.ط، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، أغسطس ١٩٩٢م.

-تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، أمقران، شعبان، مجلة التعليمية - جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد ٥، العدد ٧٥ ، سبتمبر ٢٠١٨م، ص(٢٢٣-٢٣٦).

-الحجاج بين النظرية والأسلوب ، عن كتاب نحو المعنى والمبنى ، شارودو ، باتريك ، ترجمة د.أحمد الودرني، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م .

-الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، الطلبة، د.محمد سالم، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، يونيو ٢٠٠٨م.

-الحجاج في البلاغة من خلال كتاب "مصنف الحجاج" لبيرلمان وتيتيكا، الزماني، كمال، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي، برلين-ألمانيا، العدد الحادي عشر ، يناير ٢٠٢٠م ، ص(١١٤-١٤٣).

-الحجاج في التواصل، بروطون، فيليب، ترجمة محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م.

-الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجًا" ، درنوني، إيمان ، رسالة ماجستير ، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر ، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ / ٢٠١٢-٢٠١٣م.

-الحجاج مفهومه ومجالاته ، إشراف علوي ، د.حافظ إسماعيلي ، ط١، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

-الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدهري ، أمينة ، ط١، الدار البيضاء، دار المدارس ، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

-الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مدقن ، هاجر ، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير،الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة ، ٢٠٠٣ / ٢٠٠٢م.

-صحيح البخاري ، الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ط١، د.م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ ، ج٤ .

-طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، المجالي ، د.جهاد ، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م .

-العوامل الحجاجية في اللغة العربية، الناجح، د.عز الدين ، ط١، صفاقس-تونس، مكتبة علاء الدين، ٢٠١١م.

-في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، صولة ، أ.د.عبدالله ، ط١، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع ، ٢٠١١م.

-اللغة والحجاج، العزاوي، د.أبوبكر، ط١، الدار البيضاء، الأحمدية-العمدة في الطبع، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

-المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، محمد بن عبدالله ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ج٢.

-مفهوم الطبقة عند ابن سلاّم الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية أنموذجا - دراسة فنية موازنة - ، سوالمية، سمير، رسالة ماجستير ، الجزائر، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري ، ٢٠٠٨ -٢٠٠٩م.

-نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، عمر، جايلي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب - جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الثالث، ٢٠١٨م، ص(١٩٤-٢٠٣).

Bibliography

- Poet laureates classes, Al-Jamahi, Muhammad bin Salam, read and explained by Mahmoud Muhammad Shaker, Jeddah, d.T,, Dar Al-Madani, d.T, part 1.
- The Holy Quran .
- Discourse Strategies- pragmatic linguistic approach. Al-Shehri, Abd al-Hadi, 1st edition, Beirut, Dar Alkitab Aljadid (United New Book House), 2004 AD.
- Persuasion of Abraham story , peace be upon him - a pragmatic approach -, Bou Salah, Fayza, Master's Thesis, Algeria, Faculty of Languages, Literature and Arts, Oran University, 2009-2010.
- Alisan, Almizan or Altakawthur Al aqli (Tongue and Balance or Mental Growth), Abdul Rahman, Dr. Taha, 1st Edition, Casablanca - Beirut, Arab Cultural Center, 1998 AD.
- Clarification in Rhetoric, Al-Qazwini, Muhammad Al-Khatib, footnoes by Ibrahim Shams Al-Din, 1st Edition, Beirut, Muhammad Ali Beydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1424 AH - 2002 AD
- Alhajaj mechanisms in the sermons of pilgrims: a pragmatic study, Shakima, Muhammad, Master's thesis, Algeria, Faculty of Arts and Languages, *Hamma Lakhdar* Eloued *University*, 1436-1437 AH / 2015-2016 AD.
- non-linguistic argumentative Mechanisms in the Holy Qur'an, Bousila, Fayza, Journal of Mediterranean Dialogue - University of Jilali El Yabes, Sidi Bel Abbes, Algeria, Volume 11, Issue 2, September 2020, pp. (77-93).
- Argumentative Discourse Formation Mechanisms between Statement Theory and Proof Theory, Mudaqin, Hajar, Al-Athar (Journal of Literatures and Languages) - Kasdi Merbah University, Ouargla - Algeria, No. 5, March 2006 AD, pp. (190-199).
- The most important theories of Argumentation in Western traditions from Aristotle till todate , supervised by Samoud, Dr. Hammadi, d.T, Manouba - Tunisia, Faculty of Arts, University of Arts, Arts and Humanities, Literature Series, Volume XXXIX, d.T.
- The Rhetoric of Discourse and Text Science, Fadl, Dr. Salah, Dr. T, Kuwait, The National Council for Culture, Arts and Letters, World of Knowledge Series, August 1992.
- Argumentation Techniques in the New Rhetoric of Chaim Perelman, Amqran, Shaaban, Educational Journal - University of Djilali Al-Yabis, Sidi Bel Abbas, Algeria, Volume 5, Number 75, September 2018, pp. (223-236).
- Argumentation between Theory and Style, about meaning and construction of grammar, Charudou, Patrick, translated by Dr. Ahmed Al-Wadarni, 1st Edition, Beirut, United New Book House, 2009.
- Argumentation in Contemporary Rhetoric, Research in the Rhetoric of Contemporary Criticism, Students, Dr. Muhammad Salem, 1st Edition, Beirut, United New Book House, June 2008.
- Argumentation in rhetoric " Musanaf Alhaja" book, by Perelman and Tetica, Al-Zamani, Kamal, Journal of Cultural, Linguistic and Artistic Studies, Arab Democratic Center, Berlin-Germany, Issue Eleven, January 2020, pp. (114-143).
- Argumentation in Communication, Proton, Philip, translated by Muhammad Michbal and Abdel-Wahid Al-Tohamy Al-Alami, 1st edition, Cairo, National Center for Translation, 2012.
- Argumentation in the Qur'anic Text "Surat Al-Anbiya as a Model", Darnouni, Iman, Master Thesis, Algeria, Faculty of Arts and Languages, Hajj Lakhdar University, 1433-1434 AH / 2012-2013 AD.
- Argumentation concepts and fields, supervised by Alawi, Dr. Hafez Ismaili, 1, Irbid - Jordan, Modern Book World, 1431 AH-2010 AD.
- Argumentation and discourse analysis in light of New Rhetoric, Al-Dahri, Amina, 1, Casablanca, Dar Al-Madras, 1432 AH, 2011 AD.
- Argumentation discourse, types and characteristics, an applied study in Al-Masakeen Al-Rafei's book, Mudaqin, Hajar, memorandum for obtaining a master's degree, Algeria, Faculty of Arts and Humanities, University of Ouargla, 2003/2002 AD.

- Sahih Al-Bukhari, Imam Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, explanation and commentary by Dr. Mustafa Dib Al-Bagha, 1st floor, d.m., Dar Touq Al-Najat, 1422 AH, part 4.
- Poets classes in Literary Criticism of the Arabs until the End of the Third Century AH, Majali, Dr. Jihad, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Jeel, 1412 AH - 1992 AD.
- Argumentative Factors in the Arabic Language, Al-Najah, Dr. Ezz El-Din, 1st Edition, Sfax-Tunisia, Aladdin Library, 2011.
- Argumentation Theory: Studies and Applications, Soula, Prof. Dr. Abdullah, 1st Edition, Tunis, Meskiliani for Publishing and Distribution, 2011.
- Language and Argumentation, Al-Azzawi, Dr. Abu Bakr, 1st Edition, Casablanca, Al-Ahmadiya-Al-Omda in print, 1426 AH-2006 AD.
- Al-Mustadrak on the Two Sahihs, Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah, investigation: Mustafa Abdel-Qader Atta, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1411 AH - 1990 AD, Volume 2.
- The concept of class according to Ibn Salam, the first class of pre-Islamic poets as a model - a balancing technical study -, Soualmiya, Samir, Master's thesis, Algeria, Faculty of Arts and Languages, Mentouri University, 2008-2009.
- Argumentation Linguistic Theory of Osvald Decroux and Anscomber, Omar, Gailey, Al-Omda Journal of Linguistics and Discourse Analysis, University of M'sila, Algeria, third issue, 2018, p. (194-203)